امل دنقل

سفر الف دال

(الاصحاح الاول)

القطارات ترحل فوق قضيبين : ما كان ـ ما سيكون!
والسماء رماد ، به صنع الموت قهوته ..
ثم ذراه ، كي تتنشقه الكائنات ،
فينسل بين الشرايين والافئدة .
كل شيء ـ خلال الزجاج ـ يفرّ :
رذاذ الغبار على بقعة الضوء ،
أغنية الريح ،
قنطرة النهر ،
سرب العصافير والاعمدة .
كل شيء يفر ..
فلا الماء تمسكه اليد ،
والحلم لا يتبقى على شرفات الجفون .
... ...
والقطارات ترحل ، والراحلون ..
يصلون .. ولا يصلون !

(الاصحاح الثاني)

سنترال :
أعطِ للفتيات اللواتي ينمن الى جانب الآلة الباردة
(شاردات الخيال)
رقمي ـ رقم الموت ـ حتى اجيء الى العرس ..
ذي الليلة الواحدة !
أعطه للرجال ..
عندما يلثمون حبيباتهم في الصباح ،
ويرتحلون الى جبهات القتال ! !

(الاصحاح الثالث)

الشهور زهور ، على حافة القلب تنمو ..
وتحرقها الشمس ذات العيون الشتائية المطفأة !
... ...

زهرة في اناء
تتوهج ـ في اول الحب ـ بيني وبينك ،
تصبح طفلا .. وارجوحة .. وامرأة .
زهرة في الرداء
تتفتح اوراقها في حياء
عندما نتخاصر في المشية الهادئة .
زهرة من غناء
تتورد فوق كمنجات صوتك ..
حين تفاجئك القبلة الدافئة .
زهرة من بكاء
تتجمد ـ في لحظات الشجار الصغيرة ـ فوق شجيرة عينيك
اشواكها : الحزن والكبرياء .
... ...
زهرة فوق قبر صغير
تنحني ، وانا اتحاشى التطلع نحوك ..
في لحظات الوداع الاخير
تتعرى ، وتلتف بالدمع في كل ليل اذا الصمت جاء
لم يعد غيرها من زهور المساء
هذه الزهرة ـ اللؤلؤة ! !

(الاصحاح الرابع)

تحبل الفتيات
في زيارات اعمامهن الى العائلة .
ثم يجهضن الزحام على سلم « الحافلة »
وترام الضجيج !
... ...
تذهب السيدات
ليعالجن اسنانهن ، فيؤمن بالوحدة الشاملة
ويجدن الهوى بلسان الخليج !
... ...
... ...
يا ابانا الذي صار في الصيدليات والعلب العازلة
نجنّا من يد القابلة
نجنا حين نقضم ـ في جنة البؤس ـ تفاحة العربات
وثياب الخروج ! !

(الاصحاح الخامس)

تصرخين ، وتخترقين صفوف الجنود .
نتعانق في اللحظات الاخيرة ..
في الدرجات الاخيرة .. من سلم المقصلة
اتحسس وجهك !
(هل انت طفلتي المستحيلة ام امي الارملة ؟)
اتحسس وجهك !
(لم اك أعمى ..
ولكنهم ارفقوا مقلتي ويدي بملف اعترافي
لتنظره السلطات ،
فتعرف اني راجعته كلمة .. كلمة ..
ثم وقعته بيدي
(ـ ربما دس هذا المحقق لي جملة تنتهي بي الى الموت ـ لكنهم وعدوا ان يعيدوا اليّ يدي وعينيّ ، بعد انتهاء المحاكمة العادلة !)
زمن الموت لا ينتهي يا ابنتي الثاكله
وانا لست اول من نبّأ الناس عن زمن الزلزلة
وانا لست اول من قال في السوق ..
ان الحمامة ـ في العش ـ تحتضن القنبلة .
قبليني ، لانقل سري الى شفتيك ،
لانقل شوقي الوحيد
لك ، للسنبلة ،
للزهور التي تتبرعم في السنة المقبلة .
قبليني .. ولا تدمعي ..
سحب الدمع تحجبني عن عيونك
في هذه اللحظة المثقلة
كثرت بيننا الستر الفاصلة
لا تضيفي اليها ستارا جديد ! !

(الاصحاح السادس)

كان يجلس في هذه الزاوية
كان يكتب، والمرأة العارية
تتجول بين الموائد ،تعرض فتنتها بالثمن ،
عندما سألته عن الحرب ..
قال لها : لا تخافي على الثروة الفالية
فعدو الوطن
مثلنا .. يختتن !
مثلنا .. يعشق السلع الاجنبية ،
يكره لحم الخنازير ،
يدفع للبندقية .. والغانية !

.. فبكت !
... ...
كان يجلس في هذه الزاوية
عندما مرت المرأة العارية
ودعاها ،
فقالت له انها لن تطيل القعود
فهي منذ الصباح تفتش مستشفيات الجنود
عن اخيها المحاصر في الضفة الثانية
(عادت الارض .. لكنه لا يعود !)
وحكت كيف تحتمل العبء طيلة غربته القاسية
وحكت كيف تلبس ـ حين يجيء ـ ملابسها الضافية
وأرته له صورة بين اطفاله .. ذات عيد .
... وبكت ! !

(الاصحاح السابع)

اشعر الآن اني وحيد ..
وان المدينة في الليل
(أشباحها وبناياتها الشاهقة)
سفن غارقة
نهبتها قراصنة الموت ،ثم رمتها الى القاع منذ سنين
اسند الرأس ربانها فوق حافتها ،
وزجاجة خمر محطمة تحت اقدامه ،
وبقايا وسام ثمين .
وتشبث بحارة الامس فيها بأعمدة الصمت في الاروقة
يتسلل من بين اسمالهم سمك الذكريات الحزين
وخناجر صامتة ،
وطحالب نابتة ،
ونثار من القطط النافقة .
ليس ما ينبض الان بالروح في ذلك العالم المستكين
غير ما ينشر الموج من علم .. كان في هبة الريح ..
والان يفرك كفيه في هذه البقعة الضيقة !
سيظل .. على السواريات الكسيرة يخفق ..
حتى يذوب رويدا .. رويدا ..
ويصدأ فيه الحنين
دون ان يلثم الريح ثانية ،
او يرى الارض ،
او يتنهد من شمسها المحرقة ! !

(الاصحاح الثامن)

آه ، سيدتي السنبلة
آه ، سيدة الصمت واللفتات الودود .

... ...
لم يكن داخل الشقة المقفلة
غير قط وحيد .

حين عادت من السوق تحمل سلتها المثقلة
عرفت ان ساعي البريد
مر ...

(في فتحة الباب
كان الخطاب
طريحا .. ككاب الشهيد !)
قفز القط في الولولة
قفزت من شبابيك جيرانها الاسئلة
... ...
آه ، سيدة الصمت والكلمات الترود
آه ، سيدتي ... الارملة !

(الاصحاح التاسع)

دائما حين امشي ، ارى السترة القرمزية بين الزحام
وارى شعرك المتهدل فوق الكتف .
وارى وجهك المتبدل فوق مرايا الحوانيت ،

في الصور الجانبية ،
في لفتات البنات الوحيدات ،

في لمعان خدود المحبين عند حلول الظلام .
دائما اتحسس ملمس كفك في كل كف .
المقاهي التي وهبتنا الشراب ،

الزوايا التي لا يرانا بها الناس ،
تلك الليالي التي كان شعرك يبتل فيها ..

فتختبئين بصدري من المطر العصبي ،
الهدايا التي نتشاجر من اجلها ،

حلقات الدخان التي تتجمع في لحظات الخصام .
دائما انت في المنتصف .

انت بيني وبين كتابي ،
وبيني وبين فراشي ،

وبيني وبين هدوئي ،
وبيني وبين الكلام .

ذكرياتك سجني ، وصوتك يجلدني،
ودمي قطرة ـ بين عينيك ـ ليست تجف !
فامنحيني السلام .
امنحيني السلام .

(الاصحاح العاشر)

الشوارع في آخر الليل .. آه ،
ارامل متشحات ينهنهن في عتبات القبور ـ البيوت.
قطرة .. قطرة ، تتساقط ادمعهن .. مصابيح ذابلة،
تتشبث في وجنة الليل .. ثم تموت !
... ...
الشوارع في آخر الليل .. آه .
خيوط من العنكبوت
والمصابيح ـ تلك الفراشات ـ عالقة في مخالبها ،
تتلوى فتعصرها ، ثم تنحل شيئا .. فشيئا ..
فتمتص من دمها قطرة .. قطرة ،
فالمصابيح .. قوت !
... ...
الشوارع في آخر الليل .. آه ،
افاع تنام على راحة القمر الابدي الصموت .
لمعان الجلود المفضضة المستطيلة يفدو مصابيح
مسمومة الضوء ، يففو بداخلها الموت ،
حتى اذا غرب القمر انطفأت .. وغلى في شرايينها
السم ،
تنزفه قطرة .. قطرة ، في السكون المميت
... ...
... ...

وانا كنت بين الشوارع وحدي !
وبين المصابيح وحدي !
اتصبب بالحزن بين قميصي وجلدي .
قطرة .. قطرة ..،
كان حبي يموت
وانا خارج من فراديسه .. دون ورقة توت ! !

القاهرة